

احفظ الله ينجي نفسك



عائض بن محمد القرني

دار الوطن للنشر

احفظ الله يحفظك

عائض بن عبد الله القرني

دار الوطن للنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خليفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

عنوان هذا الكتاب : «احفظ الله يحفظك» ولا تزال تتكرر هذه الكلمة ما دام في الأرض إسلام، وما دام في الأرض مسلمون.

ح دار الوطن للنشر والتوزيع - ١٤٢٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عائض عبد الله

احفظ الله يحفظك - الرياض

... ص ... سم

ردمك : ٥ - ٢٠١ - ٢٨ - ٩٩٦٠

١-العنوان

١-الوعظ والإرشاد

٢٢/٥٥٢٩

دي ٢١٣

رقم الإيداع : ٢٢/٥٥٢٩

ردمك : ٥ - ٢٠١ - ٢٨ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس ٤٧٢٣٩٤١ - ص ب : ٣٣١٠

pop@dar-alwatan.com

البريد الإلكتروني :

www.dar-alwatan.com

موقعنا على الانترنت :

من يتق الله يُحمد في عواقبه

ويكفه شرّ من عزّوا ومن هانوا
من استجار بغير الله في فزع

فإن ناصره عجز وخذلان
فألزم يديك بحبل الله معصماً

فإنه الركن إن خانتك أركان

* صحّ عند الترمذي وأحمد^(١) عن ابن عباس - رضي الله
عنهما - قال : كنت خلف رسول الله ﷺ ، فقال : «يا غلام،
إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده
تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله،
واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا
بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم
يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت

الصحف».

وزاد أحمد في مسنده : «وإن النصر مع الصبر، وإن الفرج
مع الكرب، وإن مع العسر يسراً»^(١).

أهمية هذا الموضوع :

هذه وصية رسول الله ﷺ للأولين والآخرين .

قال بعض الصالحين : إذا أردت أن توصي صاحبك أو أخاك

أو ابنك فقل له : احفظ الله يحفظك .

وقال أحد العلماء : تأملت في هذا الحديث فكدت أدهش لما

فيه من المعاني الجليلة .

ولذلك قال سليمان بن داود عليهما السلام : «تعلمنا مما

تعلم الناس، ومما لم يتعلم الناس، فما وجدنا كحفظ الله في
الغيب والشهادة».

(١) الترمذي (٢٥١٦) وأحمد في مسنده (٢٩٣/١، ٣٠٣، ٣٠٧).

(١) أحمد (٣٠٧/١).

لحمة ينقلها إلى أعلى نخلة، فصعد الرجل إلى أعلى النخلة، فوجد في أصل النخلة حية عمياء كبيرة السن، فكان إذا اقترب منها العصفور وشوش لها، فتفتح فاهها فيلقي فيه قطعة اللحم. حية رزقها يصلها إلى رأس النخلة، بعصفور وهي عمياء، ويصرصر لها العصفور فترفع فكها.

من الذي دلّ العصفور؟ إنه الواحد الأحد!! إنه رب العصفور!!

من الذي رزق الحية؟ إنه الحي القيوم، ربّ الحية. ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

❖ والله سبحانه وتعالى يحفظ من حفظه من عباده في حالات ومقامات متنوعة، لا يمكن لأحد حصرها أو عدّها. يحفظه في دينه، وذلك أغلى ما عند المسلم، ويحفظه في دنياه من كل سوء، ويسخر له مخلوقاته، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

لمن هذا الكتاب؟ :

هذا الكتاب لا يوجّه لصنف من الناس، وإنما هو للملوك، وللأمراء، وللوزراء، وللموظفين، وللأطباء، وللمهندسين، وللتجار، ولل فلاحين، وللعسكريين، وللرجال، وللنساء.

دعها سماوية تجري على قدر
لا تفسدنها برأي منك منكوس

وقال الآخر :

يا حافظ الآمال أنت حفظتني
وعدى الظلوم عليّ كي يجتاحني فنصرتني
فانقاد لي متخشعاً لما رآك منعتني

حفظ الله تعالى :

الله سبحانه وتعالى خلق خلقه، وهو يحفظهم ويتولاهم، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

رأى رجل عصفوراً يطير من شجرة إلى شجرة، وبفمه

حفظ الله لأوليائه في الدنيا

أما حفظه تعالى لأوليائه وعباده الصالحين في الدنيا، فله صور وأنواع متنوعة، وإليك أخي القارئ أمثلة من ذلك :

١ - الحفظ من مكر الأعداء :

دعا نبي الله إبراهيم عليه السلام قومه، فلما ضاقوا به ذرعاً أجمعوا أمرهم على إلقائه في النار، ووضعوا إبراهيم في المنجنيق، وأشعلوا له ناراً، وأوقدوها وقالوا : ألقوه في النار . فأتى جبريل في تلك اللحظة إلى إبراهيم عليه السلام، فقال : يا إبراهيم، هل لك إليَّ حاجة؟ قال : أما إليك فلا! وأما إلى الله فبلى^(١)؟

وفي البخاري^(٢) عن ابن عباس موقوفاً، قال : «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار،

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٩٤ .

(٢) البخاري : (٤٥٦٣) .

* وحفظ الله تعالى المرء في دينه كثيراً ما يغيب عن الأذهان بالرغم من أهميته وخطورته . . فيحفظ الله قلبه من الشبهات والشكوك، ويحميه من الشرك والنفاق، ويحفظه من الحيرة والتردد، ومن كل مبدأ دخيل هدام . . والناس من حوله صرعى بلا هدف ولا وجهة . . وهو قد حفظه الله، فعرف درب الخير والفلاح .

ويحفظه عند ساعة الاحتضار، عند فراق هذه الدنيا، في تلك اللحظة الحرجة التي يحرص الشيطان على اصطياذ المرء فيها، ولكن المؤمن الصادق يشبهه الله بقوله الثابت، ويحفظه ويسدده، ويوفقه لقول كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» .

وكم من شخص ضيَّع حدودَ الله . . وعند الموت خانه لسانه فعجز عن التلفظ بالشهادة . . وندم وتحسّر، وأسف على ما قدّم ولات ساعة مندم!! لأنه لم يحفظ الله تعالى! فلم يحفظه سبحانه، فخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين!

٢ - الحفظ من كيد الطغاة والحكام :

﴿ موسى عليه السلام أرسله الله سبحانه إلى فرعون الطاغية ، فذهب إليه ليدعوه إلى الله سبحانه وتعالى ، وقبل أن يدخل إلى إيوانه وديوانه يعرف أن الموت في الديوان ، من الذي في الديوان ؟ إنه فرعون الجبار !! السيوف !! الدماء !! الموت الأحمر !! فرعون الإرهابي !! الفتاك !! الدكتاتوري المجرم !!

قال موسى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ [طه : ٤٥] . فأتى كلام الذي هو خير حافظ وهو أرحم الراحمين : ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : ٤٦] . وتكلم معه موسى بقوة ، وحفظه الله تعالى .

والتق موسى وفرعون على تحديد يوم الزينة موعداً بين موسى والسحرة ، واجتمع الناس ، وحضر موسى عليه السلام ، وجاء السحرة ، فقال لهم موسى : ألقوا ، فألقوا حبالهم وعصيهم ، وصار يُخِيلُ للناظر إليها أنها تسعى !!

وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .
ألقوا نبي الله إبراهيم في النار ، وهو في الهواء ، يقول : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ، وفي أثناء وقوعه قال الله للنار : ﴿ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] ، وخرج ونجا من كيدهم .

﴿ قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٦٤] ، فمن الذي يطفئ النار ؟ إنه الله !! ومن الذي ينجي من اليم ؟ إنه الله !! ومن الذي يكسر ويلين الحديد لأوليائه ؟ إنه الله !! ومن الذي يصل الحبل بعبدته ؟ إنه الله .

كم نطلب الله في شرٍّ يحل بنا
فإن تولت بلايانا نسيناه
ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا
فإن رجعنا إلى الشاطي عصيناه
ونركب الجوَّ في أمن وفي دعة
فما سقطنا لأن الحافظ الله

فأوجس موسى في نفسه خيفة، فأتاه كلام الذي هو خير حافظ، وهو أرحم الراحمين : ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ [طه : ٦٨].

المقام بعد أن صليت ركعتين، فالتفت إلى الناس وإلى البيت، فإذا بجلبة الناس والسلاح... والسيوف... والدرق... والحراش... فالتفت فإذا هو الحجاج بن يوسف، وهو الأمير السفاك، تقول فيه ليلي الأخيلية:

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد
إلا الخليفة والمستغفر الصمد

قتل مائة نفس، وقتل سعيد بن جبير.

قال الحجاج : « رأيت في المنام أن الله قتلني بكل نفس قتلتها مرة، إلا سعيد بن جبير فإن الله قتلني على الصراط به سبعين مرة »

يقول طاوس : فرأيت الحراب فجلست مكاني، وبينما أنا جالس إذا برجل من أهل اليمن فقير زاهد عابد، أقبل فطاف بالبيت، ثم جاء ليصلي ركعتين، فتعلق ثوبه بحربة من حراب جنود الحجاج، فوقعته الحربة على الحجاج، فاستوقفه الحجاج، وقال له : من أنت؟ قال : مسلم. قال : من أين أنت؟

* يقول طاوس بن كيسان - وهو من تلاميذ ابن عباس الأخيار الأظهر، وهو من رواة البخاري ومسلم - يقول : « دخلت الحرم لأعتمر، قال : فلما أدت العمرة جلست عند

(١) في ظلال القرآن ١/ ٤٨٠ بتصرف.

أحداً سوف يعترض علي؟ قالوا : إن كان فالأوزاعي -
والأوزاعي محدث فحل، أمير المؤمنين في الحديث، أبو
عمرو، كان زاهداً عابداً، من رواة البخاري ومسلم - قال :
تعالوا به، فذهب الجنود للأوزاعي فما تحرك من مكانه،
قالوا : يُريدك عبدالله بن علي، قال : «حسبنا الله ونعم الوكيل»،
انظروني قليلاً، فذهب فاغتسل، ولبس أكفانه تحت الثياب؛
لأنه يعرف أن المسألة موت أحمر، وقتل ودماء. ثم قال
لنفسه : الآن آن لك يا أوزاعي أن تقول كلمة الحق، لا تخشى
في الله لومة لائم. فدخل على هذا السلطان الجبار.

قال الأوزاعي وهو يصف القصة : فدخلت فإذا أساطين من
الجنود صفان، قد سلّوا السيوف، فدخلت من تحت
السيوف حتى بلغت إليه، وقد جلس على سرير، وبيده
محرران، وقد انعقد جبينه عقدة من الغضب، قال : فلما
رأيت، والله الذي لا إله إلا هو؛ كأنه أمامي ذباب. «حسبنا
الله ونعم الوكيل»، قال : فما تذكرت أحداً لا أهلاً، ولا مالاً،

قال : من اليمن، قال : كيف أخي عندكم؟ [يعني أخاه الظالم
مثله، واسمه محمد بن يوسف]، قال الرجل : تركته سميناً
بديناً بطيناً، قال الحجاج : ما سألتك عن صحته، لكن عن
عدله؟ قال : تركته غشوماً ظلوماً، قال : أما تدري أنه أخي؟
قال الرجل : فمن أنت؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف، قال :
أظن أنه يعتز بك أكثر من اعتزاي بالله؟ قال طاوس : فما
بقيت في رأسي شعرة إلا قامت، قال : فأفلته الحجاج وتركه.
لماذا؟ لأنه توكل على الله، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : ٦٤].

* لما فتح عبدالله بن علي العباسي^(١) دمشق، قتل في ساعة
واحدة ستة وثلاثين ألفاً من المسلمين، وأدخل بغاله وخبوله
في المسجد الأموي الجامع الكبير، ثم جلس للناس وقال
للوزراء : هل يعارضني أحد؟ قالوا : لا. قال : هل ترون

(١) هو ملك من الملوك أمره عجيب وخبره غريب، عم أبي جعفر
المنصور ما كان يتسم أبداً، حرسه يقارب ثلاثين ألفاً.

ولا زوجة، وإنما تذكرت عرش الرحمن إذا برز للناس يوم البدر - كيس مملوء من الذهب - قال الأوزاعي : لا أريد الحساب، قال : فرفع بصره وبه غضب علي ما الله به عليم، المال، قال : فغمزني أحد الوزراء، يعني خذها، لأنه يريد قال : يا أوزاعي، ما تقول في الدماء التي أرقناها وأهرقناها؟ أدنى علة ليقتل، قال : فأخذ الكيس ووزعه على الجنود، قال الأوزاعي : حدثنا فلان، قال : حدثنا ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ، قال : «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(١). فإن كان من قتلهم من هؤلاء فقد أصبت، وإن لم يكونوا منهم فدماءؤهم في عنقك، قال : فنكت بالخيزران ورفعت عمامتي أنتظر السيف، ورأيت الوزراء يستجمعون ثيابهم، ويرفعونها عن الدم.

يقول أحد الصالحين لابنه : ألا أدلك على القوة التي لا تغلب؟ قال : بلى، قال : توكل على الله!!

«دخل المهدي الخليفة العباسي مسجد رسول الله ﷺ، وفي المسجد أكثر من خمسمائة رجل من طلبة الحديث، أهل العمائم والمحابر والأقلام، وفيهم مالك بن أنس، فقام الناس جميعاً إلا ابن أبي ذئب، أحد العلماء، من رواية البخاري ومسلم، فقال المهدي : يا ابن أبي ذئب، قام الناس لي جميعاً إلا أنت، قال : والله الذي لا إله إلا هو، لقد أردت أن أقوم

قال : وما رأيك في الأموال؟ قال الأوزاعي : إن كانت حلالاً فحساب، وإن كانت حراماً فعقاب!! قال : خذ هذه

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦) والنسائي (٤٠١٦) وأبو داود (٤٣٥٢) والترمذي (١٤٠٢) وأحمد (٤٦٥/١).

السماء أن الكذب حلال ما كذبت، والله الذي لا إله إلا هو،
 لقد حدثني سعيد وعروة وعبيد وعلقمة بن وقاص عن عائشة :
 أن الذي تولى كبره هو عبدالله بن أبي بن سلول، فارتعد
 الخليفة وقال : هيئجناك سامحنا . ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ
 الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٦٤] .

٣- النصر على الأعداء :

إِنَّ مَنْ حَفِظَ اللَّهَ تَعَالَى لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الصَّالِحِ ، أَنْ يَحْفَظَهُ مِنْ
 عَدُوِّهِ وَيَنْصُرَهُ عَلَيْهِ .

وقد ورد في ترجمة خالد، وكلكم يعرف خالداً، من الذي
 لا يعرف أبا سليمان؟ من الذي لا يعرف سيف الله المسلول،
 الذي سلّه على المشركين؟

التقى بالروم وظن خالد أن عدد الروم يتناسب مع جيشه
 الذي كان عدده اثنين وثلاثين ألفاً، وجيش الروم كان عدده
 مائتة وثمانين ألفاً، وفي الصباح ومع طلوع الشمس أقبلت
 كتائب الروم تتهدر، السيوف تلمع مع الشمس، تنزل الكتيبة

لك، فلما تهيأت للقيام تذكرت قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ
 النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين : ٦] . فتركت هذا القيام لذلك
 اليوم، قال : اجلس، والله ما بقيت في رأسي شعرة إلا قامت .

* الإمام الزهري : المحدث الكبير، دخل على هشام بن عبد
 الملك الخليفة الأموي، فقال هشام للعلماء وكانوا حوله : من
 الذي تولى كبره؟ يعني في قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ
 مِنْهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١١] في حادثة الإفك .

وكان هشام يدّعي أن الذي تولى كبره هو علي بن أبي طالب -
 رضي الله عنه - فقال هشام لسليمان بن يسار : من الذي تولى
 كبره؟ قال : عبدالله بن أبي، قال : كذبت هو علي بن أبي
 طالب، فقال سليمان : أمير المؤمنين أعلم بما يقول، ثم قال
 للآخر : من الذي تولى كبره؟ فأجابه وكذبه، ثم وصل الدور
 إلى محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، فقال هشام : من
 الذي تولى كبره؟ قال : عبدالله بن أبي بن سلول، قال :
 كذبت، قال : أنا أكذب لا أبا لك، والله لو نادى مناد من

ألوفاً، وبعدها كتيبة، وبعدها كتيبة، حتى امتلأت الأرض والجبال والسهول، أين يلتجئ خالد؟ إلى هيئة الأمم، إلى مجلس الأمن!! بل إلى الله الواحد الأحد، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْ يَكُنَ اللَّهُ رَمِيًّا﴾ [الأنفال : ١٧].

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : ٦٤].

ولما اقتربت ساعة الصفر، وسُلت السيوف، وتنزل النصر من الله، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران : ١٦٠] قال قتيبة: النمسوا لي محمد بن واسع الأزدي، أحد الصالحين الأخيار، أين هو؟ فذهبوا فوجدوه قد صلى الضحى، وركز رمحه واعتمد عليه، وهو يدعو الله بالنصر: يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، نصرك الذي وعدتنا.

فجاء الخبر إلى قتيبة، فبكى - يرحمه الله - وقال: والله الذي لا إله إلا هو، إن أصعب محمد بن واسع خير عندي من مائة ألف سيف شهير، ومن مائة ألف شاب طرير. ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ..

١ - حفظه للأولاد:

ومن حفظ الله تعالى لعبده أن يحفظ ذريته ويتولاهم سبحانه، سواء في حياته أم بعد مماته.

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : ٦٤]. قالها يعقوب عليه السلام لما ضاع منه يوسف، وتذكر يعقوب أن

وقبل المعركة قال أحد المسلمين لخالد: يا خالد، ما أكثر الروم وأقل المسلمين، اليوم نفر إلى جبل أجاوسلي، قدمعت عينا خالد، وقال: بل إلى الله الملتجأ، قل ما أكثر المسلمين وأقل الروم!! لوددت أن الأشقر، «يعني خيله» براء من توجيه - أي مرضه - وأن الروم أضعفوا العدد.

ثم جرّد سيفه وجرّد المسلمون سيوفهم، والتقى الجمعان، وما أنت ثلاثة أيام إلا وقد أوقع الروم في كربة، وفي سحق ومحق لا يعلمه إلا الله، وانتصر عليهم!! وقُطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين.

* قتيبة بن مسلم، القائد البطل، حاصر كابل وطوقها،

الذئاب سوف تأكل يوسف؛ فقال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

وتذكر أن الفرقة حلت بينه وبين ابنه الحبيب، فقال ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

ثم تذكر أن فلذة كبده قد لا يراه منذ فقده، فقال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

قال الحسن البصري: كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة، لم يفارق الحزن قلبه، ودموعه تجري على خديه، وما على وجه الأرض عبد أحب إلى الله من يعقوب^(١). فردَّ الله يوسف إلى أبيه يعقوب عليهما السلام بعد تلك المدة الطويلة، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

* وفي خبر موسى والخضر، أنهما أتيا أهل قرية فاستطعما أهلها، فأبوا أن يُضيّفُوهمَا، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه الخضر، ثم بيّن الخضر لموسى سبب فعله ذلك بقوله: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ

• حفظه للجوارح:

ومن صور حفظ الله تعالى للعبد حفظه لجوارحه.

(١) جامع البيان ١٣ / ٧٠.

* وها هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها ذات النطاقين زوج عبد الله بن الزبير، وهي ممن أسلم قديماً بمكة، وكانت حافظة لله فحفظها الله تعالى.

٦ - تسخير الدواب والسباع والحفظ من شرها :

البهائم والسباع والدواب يسخرها الله تعالى لأوليائه الصالحين، الحافظين لحدوده، الممثلين لأوامره، والمزججين عن نواحيه، ويحفظهم سبحانه ويقيهم من شرها ويحفظها.

الله اتجه عقبة بن نافع الفهري - رحمه الله - إلى إفريقية، حين بعثه معاوية - رضي الله عنه - فافتتحها، واختط مدينة القيروان، وكان موضعها إذ ذاك غابة مليئة بالأشجار، وفيها من السباع والحيات والحشرات ما لا يمكن لبشر أن يدخلها فغلبوا عن أن يسكنها!! فقام عقبة ودعا الله تعالى، ولجأ إليه، فجعلت تلك الدواب تخرج منها بأولادها من الأوكار والمججور، فبنى المدينة بعد ذلك :

يقول عروة بن الزبير : بلغت أسماء مائة سنة لم يسقط لها سنٌ ولم ينكر لها عقل^(١).

* وها هو المحب الطبري، أحد علماء الإسلام، أتى إلى سفينة فركبها، فلما اقتربت من الشاطئ، وهو في السبعين من عمره أراد أن ينزل إلى الشاطئ، فقفز، فأراد الشباب وهم معه أن يقفروا، فما استطاعوا، فقالوا له : كيف استطعت وأنت شيخ، وما استطعنا ونحن شباب؟ قال : هذه أعضاء حفظناها في الصغر، فحفظها الله لنا في الكبر.

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

العين يحفظها الله إذا حفظت الله، والسمع يحفظه الله يوم

يقول محمد إقبال :

بمعابد الإفرنج كان أذاننا

قبل الكنائس يفتح الأمصار

لم تنس أفريقيا ولا صحراؤها

سجداتنا والأرض تقذف نار

كنا نقدم للسيوف رؤوسنا

لم نخش يوماً غاشماً جباراً

لقد حفظ عقبة ربّه في رخائه، فحفظه الله في مختلف أحواله، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

* كان صلة بن أشيم في خراسان، يغزو مع قتيبة بن مسلم، وكان هذا الرجل من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر في صلاة، وفي عبادة وفي بكاء.

فقل لأهل الغناء، قل لأهل الطرب، قل لأهل الفواحش، قل لأهل اللهو والعبث : صلة بن أشيم من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر في صلاة وفي دعاء ومناجاة مع ربه وأنتم في

والمجهون والعريضة.

قلت لليل هل بجوفك سرٌّ

عامر بالحديث والأسرار

قال لم ألق في حياتي حديثاً

كحديث الأحياب في الأسفار

كان قتيبة بن مسلم، يقول : الحمد لله الذي جعل في

جيشي مثلك يا صلة .

وكان إذا قام يصلي الليل يأخذ بردة بألف دينار ويطيّبها،

ويقول : اللهم إنك جميل تحبّ الجمال، ما لبستها إلا لك،

لبستها في الليل، فإذا أتى النهار خلعتها.

خرج من الجيش بعد أن نام الناس، ودخل الغابة، وقام

لصلي بالنفل ويكي، وهو في الجبهة في سبيل الله قريباً من

قائل،

يا من تلك الأرض ما أحسن المرتجى

وما أحسن المصطاف والمرتعى

قام يصلي فأتى الأسد إليه، والأسد معروف من هو؟ إنه حيدرة، الهزير، الليث الذي سمته العرب ملك الحيوانات، إذا زار في أي وادٍ تنتقل العرب وترتحل من الوادي، لا يستطيع أحد أن يصارعه.

أتاه الأسد فدار عليه وهو يصلي، فما تحول ولا تحرك، ولا اضطرب، فلما انتهى من ركعتين التفت إلى الأسد، وقال له: يا حيدرة يا ليث، إن كنت أمرت بقتلي وأكلي فاقتلني وكُلني، فإنه ليس معي سلاح إلا حماية الله تعالى، وإن كنت ما أمرت بقتلي ولم تسلط علي فاذهب واطركني أصلي. فقام الأسد فلوى ذنبه وذهب، كأنه جرو الكلب، حتى دخل جحره!! ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

قال أحد علماء المسلمين: لما أطعنا الله سحّر لنا الوحوش، ولما عصيناه سلّط علينا الفئران!!

ولذلك يقول أحد أدباء المسلمين لما رأى اليهود والنصارى يهاجمون بلاد المسلمين في الشرق والغرب،

وذلك يوم أن ضيع المسلمون الله، يقول:
أيا عمر الفاروق هل لك عودة
فإن جيوش الروم تنهى وتأمّر
رفاقك في الأغوار شدّوا سيوفهم
وجيشك في حطين صلّوا وكبّروا
تغني بك الدنيا كأنك طارق
على بركات الله يرسو ويبحر
نساء فلسطين تكحلن بالأسى
وفي بيت لحم قاصرات وقصر
وليمون يافا يابس في أصوله
وهل شجر في قبضة الظلم يثمر؟
لا والله لا يثمر.

❖ ويروى عن أحد الصالحين، وهو مالك بن دينار، أنه قال: نِمْتُ في حديقة فاستيقظت من نومي، وأنا في الحديقة، وإذا بحية أخذت زهرة في فمها، وهي تزيل الذباب والبعوض

عن وجهي، سبحان الله من الذي علّمها؟ من الذي دلّها؟ من الذي سخّر لها لهذا العبد الصالح؟ إنه الواحد الأحد! .

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : ٦٤].

٧ - تسخير الجمادات :

ومن حفظ الله تعالى لعباده الصالحين أن يسخّر لخدمتهم حتى الجمادات، التي لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل .

* روى البخاري - رحمه الله تعالى - في باب الكفالة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال : اتّني بالشهداء أشهدهم، فقال : كفى بالله شهيداً. قال : فأتني بالكفيل، قال : كفى بالله كفيلاً. قال : صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى . فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال :

«اللهم إنك تعلم أنني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً، فرضي بك. وسألني شهيداً فقلت كفى بالله شهيداً، فرضي بذلك، وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال : والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه. قال : هل كنت بعثت إليّ بشيء؟ قال : أخبرك أنني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه، قال : فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار راشداً»^(١).

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : ٦٤].

(١) البخاري : (٢٢٩١).

نتائج عدم حفظ الله تعالى :

إن من لم يحفظ الله تعالى فإن الله تعالى لا يحفظه ، ومن لم يحفظه الله فإن مردّه في الدنيا سوء المعاش ، وفقدان السعادة ، وفي الآخرة مصيره إلى نار جهنم ، ما دامت السموات والأرض ، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [طه : ١٢٤] .

والتاريخ مليء بالشواهد :

* فيها هو فرعون يملك مصر ، والأنهار تجري في بلاده ، والثمار والخيرات تتدفق من مصر ، لكنه لم يحفظ الله تعالى ، فلم يحفظه الله سبحانه وتعالى ، فأغرقه وقومه في اليم وهو مُلِيم . ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ ۖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٥-٢٩] .

* وها هو قارون يؤتیه الله من المال ما لا يخطر على بال ، لكنه لم يحفظ الله ، ولم يستمع لنصح الناصحين ، بل قال :

﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص : ٧٨] . واستكبر وعاند ، فكانت عاقبته أن خسف الله به وبداره الأرض ، فخسر الدنيا والآخرة ، ألا ذلك هو الخسران المبين .

* وفي عهد العباسيين ، كان هناك وزراء في عهد الرشيد ، يُدعون بالبرامكة ، أعطاهم الله المال والذهب والفضة ، طُلُوا قصورهم بكل لون من الألوان ، حتى قال بعض المؤرخين : كانوا يطلون قصورهم بماء الذهب .

لكن ضيّعوا أوامر الله ، في داخل قصورهم معصية : غناء . . خمر . . مجون . . ضياع . . تضييع للصلاة ؛ فأخذهم علام الغيوب ، الذي يمهل ولا يهمل ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فسبحانه ما أقدره ، ولا إله إلا الله ما أعظمه ، ولا إله إلا الله ما أجله .

هؤلاء الوزراء أخذوا في غداة واحدة ، سلّط الله عليهم أحب الناس إليهم ، هارون الرشيد ، كان صديقاً لهم ، كان أخاً لهم غضب عليهم ضحى ، فأخذ شبابهم فقتلهم بالسيف قبل

الظهر، وأخذ أشياخهم فأودعهم في السجن، وأخذ أبناءهم فجعلهم في المستعمرات تحت الأرض، وأخذ النساء فأوحد عليهن في الغرف... بكاء هنا... وبكاء هناك... ودمع هنا... ودمع هناك...

قيل لأحدهم وهو يحيى بن خالد البرمكي: ماذا أنزلكم في هذا المنزل، في الظلام بعد هذه النعم؟ بعد الذهب؟ بعد الحرير؟ بعد الديباج، قال وهو يبكي: دعوة مظلوم سرت في ظلام الليل، غفلنا عنها، ولم يغفل الله عنها!!

وقيل لعلي بن الحسين - رضي الله عنهما - كم بين العرش والتراب؟ قال: دعوة مستجابة.

لم يجب بالأميال، ولا بالكيلومترات، ولا بالقياسات وإنما قال: دعوة مستجابة، يرفعها الله فوق الغمام حتى تصل إليه، ثم يقول سبحانه: «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين».

وقد صح عنه عليه السلام أنه قال لمعاذ: «اتق دعوة المظلوم، فإنه

ليس بينها وبين الله حجاب»^(١).

أخذ الرشيد البرامكة، فبقى أبوهم الشيخ الكبير في السجن سبع سنين حتى طالت أظافره، وطال شاربته، ما وجد مقراضاً يقلم أظافره، ما وجد مقصاً يأخذ من شاربته، ما وجد سواكاً، كان يتوضأ ويبكي في مكانه، كان يقضي حاجته في مكانه، في زنزانته بعد ذلك النعيم، بعد الحرير، بعد الديباج.

باتوا على قلل الآمال تحرسهم
غلب الرجال فما أغتتهم القلل
واستنزلوا بعد عز من منازلهم
إلى مقابرهم يا بئس ما نزلوا
﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

من الذي يصرف الأمور إلا الله؟! من الذي بيده المقاليد إلا الواحد الأحد؟! سبحانه يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن

(١) رواه البخاري (٢٤٤٨) ومسلم (١٩) والنسائي (٢٥٢٢) وابن ماجه (١٧٨٣) وأحمد (٢٣٣/١).

يشاء، ويُعزّز من يشاء، ويُذلّ من يشاء.

* القاهر أحد الخلفاء العباسيين قال : أكتنز للدهر احفظ المال للأيام السود، فحفر بركاً في الأرض وملاها ذهباً وفضة! ولم يعتمد على الله، وقال لأبنائه : يا أبنائي، لا تخشوا الفقر، ملأت لكم في هذه الحفرة ما لو وزّع على أهل بغداد لكان كل بغدادى تاجراً.

فماذا فعلَ به لما خالف أمر الله وفرط؟ أخذ من خلافته، وخُلِع عنها، وسملت عيناه، ثم أخذت أملاكه، وصودرت إلى الخليفة من بعده، وأصبح يقوم في الجامع الكبير ببغداد، ويقول : من مال الله يا عباد الله.

قالوا : فانظروا إليه يوم ضيّع الله، كيف ضيّع الله؟!

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ

شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧].

كيف يحفظ العبدُ ربّه؟

علّق النبي ﷺ حفظ الله لعبده بحفظ المرء الله، بقوله :

«احفظ الله يحفظك». فمن الذي يحفظ الله ليحفظه الله؟ لأن الله سبحانه يقول : ﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ ﴾ [ق : ٣٢]. ومعنى الأواب : الرجّاع إلى الله، كثير التوبة والندم والاستغفار، كثير العبادة، كثير الإنابة. ومعنى الحفيظ : الذي يحفظ حدود الله تعالى.

وحفظ الله تعالى باختصار يكون بتقوى الله سبحانه.

تقوى الله : أداء ما أمر، واجتناب ما نهى، وتصديق ما أخبر.

تقوى الله : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية.

تقوى الله : أن يكون أخوف ما تخاف منه هو الله، لأن كل شيء إذا اقتربت منه أمنتَه إلا الله، إذا اقتربت منه خفته، يقول الله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨].

قال أبو الحسن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في تعريف التقوى : «هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

ومن علامات التقوى :

المحافظة على الصلوات : لقد سَمَّى الله سبحانه المواظبة على الصلاة وأدائها حفظاً فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩].

فمن حفظ الصلاة في أوقاتها وخشوعها وخضوعها وجماعتها حفظه الله يوم يضيع الناس ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥].

كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو مطعون في سكرات الموت، وعيناه تهراق بالدموع يقول : الله الله في الصلاة، لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، من حفظ الصلاة حفظه الله، ومن ضيَّع الصلاة ضيَّعه الله.

وكان - رضي الله عنه - يكتب لرؤساء الأقاليم والأمراء : عليكم بالصلاة فإنها أول الإسلام، وآخر ما تفقدون من دينكم.

والله سبحانه يقول : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ

الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨].

كيفية المحافظة عليها :

اعلم أخي المسلم، أنك لا تحافظ على الصلاة إلا بثلاث طرق :

١- **أداؤها في وقتها** : فلو أخرتها إلى أن يخرج الوقت ما قبلها الله إلا بعذر، وتُلف ويُرْمى بها وجه صاحبها، وتقول : ضيَّعك الله كما ضيَّعني !!

وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فمن حفظها حفظه الله يوم تضيع الأفهام، وتضل العقول، وتندesh الأفكار.

يقول الرسول ﷺ لابن مسعود - رضي الله عنه - لما سأل : ما أفضل العمل ؟ قال : « الصلاة على وقتها »^(١).

(١) رواه البخاري (٢٧٨٢) ومسلم (٨٥) وأحمد (٣٦٨/٥، ٤١٨) وفي رواية : « الصلاة في أول وقتها ».

٢- **أداؤها في جماعة :** فلا صلاة إلا في جماعة إلا من عذر، يوم ينادى بها في المساجد، يوم يقول لك المؤذن : حي على الصلاة.. حي على الفلاح، فتقوم من فراشك، وتذهب للمسجد، ليحفظك علام الغيوب.

٣- **أداؤها بخشوع وخضوع :** وذلك بأن تعيش مع الإمام وهو يقرأ عليك، وتستمع لهذا القرآن العجيب، والنبأ العظيم، الذي طرق الدنيا، ولتعلم أن مواقف الناس في الآخرة وفي العرصات كمواقفهم في الصلاة، ذكر ذلك ابن القيم - رحمه الله تعالى .

حفظ الجوارح :

وإن من حفظ العبد لله أن يحفظ المرء جوارحه عن معاصي الله سبحانه ؛ وأن يذللها لطاعته ، وإليك - أخي القارئ - بعض التفصيل في هذه المسألة لأهميتها وخطورتها من خلال النقاط الآتية :

أولاً : حفظ العبد لقلبه :

من حفظ الله تعالى حفظ العبد لقلبه من الشهوات

والشبهات .

هذه المضغة إذا ضاعت منك كل شيء ، قطعة اللحم هذه هي القلب ، يقول الرسول ﷺ موضحاً ومبيناً أهمية هذا القلب : « ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب »^(١) !! .

القلب إذا أصلحته بالذكر والطاعة ، صلحت اليد والعين والسمع ، والرجل والبطن والفرج .

إن كل الناس خاسر يوم القيامة ، ولن يغني عن أحد مال أو أولاد أو زوجة إلا من أتى ومعه قلب سليم . ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ [٨٨-٨٩] .

قالوا : القلب السليم الذي لم تداخله شهوة أو شبهة .

وقالوا : هو القلب الذي ليس فيه إلا الله .

وقالوا : هو الذي امتلأ بلا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

(١) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) وابن ماجه (٣٩٨٤) .

إنه القلب الذي سلم من أمراض الشبهات وأمراض الشهوات، سلم من الشك والشرك.. سلم من الرياء والنفاق.. سلم من الكبر والعجب.. سلم من الحقد والحسد.. سلم من كل داء، وامتلاً بتوحيد الله تعالى وتعظيمه، امتلاً بالإخلاص والصدق، امتلاً بالتوكل والاعتماد على الله.. امتلاً بالخوف من الله.. كقلب إبراهيم عليه السلام، الذي يقول عنه ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُكَ شَيْعَتُهُ إِذْ جَاءَ رَبُّكَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣-٨٤].

ويقول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].

من يسجد لله يهد قلبه.. من يأت إلى المسجد يهد قلبه.. من يرفع يديه يهد قلبه، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

والله لا يجعل من يأتي إلى الدروس والمحاضرات والخير والذكر كمن أعرض وجلس في مقاهي اللغو والزور والفاحشة، ومع الغناء الماجن، ومع كل قول وفعل رخيص،

لا والله. ﴿أَفَجَعَلَ الْمُتَسِيمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

* أما الذي إذا سمع الهدى أعرض عنه ونأى وابتعد، فإنه على خطر عظيم، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

إن على المؤمن أن يُسلم قلبه لله سبحانه، ليهديه سواء السبيل، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. وكل الناس لهم قلوب، ولكن المقصود القلب الفقيه المبصر. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذَرُكُمُ أُولَئِكَ الْآلِفِ﴾ [الرعد: ١٩].

ولذلك لا م الله سبحانه وتعالى قوماً ما استفادوا من جوارحهم، فقال فيهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا

يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَلَّا لَتَنفَعَنَّ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧٩﴾
[الأعراف : ١٧٩].

* فليتنبه المسلم لقلبه وليراقبه، وليحذر من أمراضه، فإن للقلب أدواء خفية، قلما يتنبه لها المرء أو يسلم منها، وليعلم أن الأعمال الصالحة إنما تعظم بقدر ما قام بالقلب من تعظيم الله تعالى ومحبته، ورب رجلين عملاً عملاً متماثلاً وبينهما في الأجر كما بين السماء والأرض، والسبب ما قام في قلب كل منهما، «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

ثانياً : حفظ العبد لسانه :

من حفظ العبد لربه أن يحفظ لسانه، واللسان هذا أمره عجيب، وخبره غريب، فإن السيئات والذنوب والمعاصي من الألسنة. فلا إله إلا الله كم هتك من عرض، ولا إله إلا الله كم أوقع في معصية. ولا إله إلا الله كم لطخ من سمعة، وكم هدم من بيت.

يقول الرسول ﷺ في حديث معاذ الشهير : «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قال : بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه وقال : كفت عليك هذا، قال : يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»^(١).

والله سبحانه يقول في مدح أوليائه الصالحين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون : ٣]. واللغو : كل ما لا ينفع في الآخرة، أو كل ما يضر في الآخرة!!

ويقول سبحانه في مدح أوليائه الصالحين : ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١].

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣) وقال الترمذي : حسن صحيح.

ويقول رسول الهدى محمد ﷺ : «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» (١).

✽ والعجيب أن الإنسان يحرص كثيراً على حفظ جوارحه، ويشعر بمرارة الذنب الذي ارتكبه بتلك الجوارح، ما عدا اللسان، فقلماً يحترس المرء من خطره، ويتجنب سقطه رغم خطورته. فكم انطلق اللسان في المعاصي، وكم سجّل الملكان من الكلام السيئ القبيح في كتاب سوف يراه صاحبه ويقرؤه، ويتندم يوم لا ينفع الندم ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : ١٨].

كم من كلمة قالها صاحبها مستخفاً بها وقد هوت به في نار جهنم سبعين خريفاً؟! وكم من كلمة خير قالها صاحبها لا يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها رضوانه أبداً؟!!

كم ينطلق اللسان في الغيبة والنميمة؟! أو الاستهزاء

(١) رواه البخاري (٦٤٧٤).

والسخرية، أو الكذب والخداع؟! أو اللغو والجدال؟!!!
كان أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - يبكي ويخرج لسانه، ويقول : هذا أوردني الموارد.

ويقول عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : والله ما شيء أحق بطول حبس من اللسان .

احذر لسانك أيها الإنسان
لا يلدغَنَّك إنه ثعبان
كم في المقابر من صريع لسانه

كانت تهاب لقاءه الشجعان

✽ من حفظ المرء لسانه أن يوجّهه لكل ما يخدم هذا الدين، والذب عن حياضه.

✽ ها هو حسان بن ثابت - رضي الله عنه - كان يحفظ الله تعالى بشعره وبقصائده، فحفظه الله .

كان يمدح الدعوة، ويمدح الرسول ﷺ وقد قال في سبّ مشركي قريش :

زعمت سخينة^(١) أن ستغلب ربّها

فليغلبن مغلب الغلاب

وكان الرسول ﷺ يقرّبه ويرفعه على المنبر، وقال له :
«اهجهم - أو قال : هاجهم - وجبريل معك»^(٢).

فكان رضي الله عنه يهجوهم ويقول :

فإنّ أبي ووالدّه وعرضي

لعرض محمد منكم وقاء

هجوّت محمداً فأجبت عنه

وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوّه ولست له بكفء

فشرّكم لخير كما الفداء

(١) سخينة : مسبة لقريش؛ لأن قريشاً تحب هذه الأكلة، فالعرب إذا سبت قريشاً قالت : سخينة.

(٢) رواه البخاري (٦١٥٣) ومسلم (٢٤٨٦) وأحمد (٢٨٦/٤).

قال الزهري :

أفخر بيت قالته العرب بيت حسان في بدر :

ويوم بدر إذ يصد وجوههم

جبريل تحت لوائنا ومحمد

فتحت قيادتنا المسلحة جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ

فكيف تغالبوننا؟!

فهو قائد الشعراء إلى الجنة، لأنه حفظ الله تعالى .

وهذا عبدالله بن أبي رواحة - رضي الله تعالى عنه - أتى إلى

رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله :

فثبت الله ما آتاك من حسن

تثبيت موسى ونصراً كالذي نصرنا

باع نفسه كما يقول ابن القيم يوم العقبة، والبيعان بالخيار ما

لم يتفرقا، فإن تفرقا فقد وجب البيع .

ذهب إلى مؤتة، فلما أتت ساعة الصفر نزل إلى الأبطال،

وخلع درعه، وأخذ سيفه، وقال :

حتى يقال إذا مروا على جدثي

يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

قُتل هناك ابن رواحة، وذهبت روحه إلى الجنة. فكان الصحابة إذا مروا بقبره يسلمون عليه، ثم يقولون: يا أرشد الله من غاز وقد رشدا.

وهو القائل في مدح الرسول ﷺ:

لو لم تكن فيه آيات مبينة

كانت بديته تنبيك بالخبر

هكذا كانت ألسنتهم في ذكر الجنة والجهاد والذب عن دين الله تعالى.

* وفي المقابل امرؤ القيس حامل لواء الشعر إلى النار، ضيّع شبابه في المعصية فضيّعه الله!! ما عرف إلا النساء والخمر فضاع.

* ابن هانيء الأندلسي أحد الفجرة دخل على خليفة فقال:

أقسمت يا نفس لتزلّنه

طائفة أو لتكرهه

إن أجلب الناس وشدوا الرّنه

مالي أراك تكرهين الجنّه

قد طال ما قد كنت مطمئنّه

هل أنت إلا نطفة في شنه

يقول له الصحابة لما ودّعوه بالمدينة: يا ابن رواحة بالسلامة والعافية، قال: لا.

وودّع الرسول ﷺ وبكى، ولما التفت إلى المدينة وهو على فرسه قال:

خلف السلام على امرئ ودعته

في النخل خير مودع و خليل

ترك زوجته وأطفاله وأصحابه من الصحابة، وما التفت إلى رجل سوى رسول الله ﷺ. لما قالوا له: نراك على خير قال: لا.

لكنني أسأل الرحمن مغفرة

وطعنة ذات فرع تقذف الزبدا

ما شئت لا ما شاءت الأقدار

فاحكم فأنت الواحد القهار

فعلمه الله من الواحد القهار؟ وأعطاه درساً حتى لا ينسى
من الواحد القهار؟!

خرج من القصر فأصيب بمرض فكان يعوي كالكلب على
فراشه، ويقول : أنت الواحد القهار، وأخذ يبكي ويقول :

أبعين مفتقر إليك نظرت لي

فأهنتني وقذفتني من خالق

لست المعلوم أنا المعلوم لأنني

علقت أمالي بغير الخالق

* القروي أحد الشعراء المنحرفين اللبنانيين الفجرة، نزل
في دمشق فحملوه على الأكتاف، وصفقوا له فقال :

هبوا لي ديناً يجعل العرب أمة

وسيروا بجثمانني على دين برهم

أيا مرحباً ديناً يوحد بيننا

وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأهانته فمات في حمام، وما
علم به إلا بعد أيام، وقد أصبح جيفة كالكلب، ليعلمه الله أنه
الواحد الأحد.

* إيليا أبو ماضي . . الشاعر الفاسد يقول :

جئت لا أعلم من أين؟ ولكنني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت

لست أدري لست أدري

قلنا له : لا دريت ولا تليت، وتوليت وعصيت، وأذنبت

وأخطأت وتعاليت . وقد أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، فمات في
أسوأ حال.

ثالثاً : حفظ العبد سمعه :

من حفظ العبد لربه أن يحفظه في سمعه، فيوجه سمعه إلى

ما ينفعه ويفيده في أخراه ودنياه .

يستمع لكتاب الله تعالى . . يستمع للمحاضرات . . يسمع

للمواعظ ، يستمع لأخبار وأحوال المسلمين أينما كانوا .
 المؤمن لا يستمع إلى ما حرم الله ، فلا يستمع إلى الغيبة
 والنميمة . . أذنه بعيدة عن الأغاني . . بعيدة عن المعازف . .
 بعيدة عن كل معصية وذنوب . ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
 أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] . المسلم يعلم أن السمع
 نعمة عظيمة ، وأنه مسئول عنها ، فحاله كما ذكر الله ﴿ وَالَّذِينَ
 لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢] .
قال بعض المفسرين : لا يسمعون الكلام الباطل الزور ،
 وقيل : لا يؤدون شهادة الزور .

فالسامع الذم شريك له

ومطعم المأكول لآكل

رابعاً : حفظ العبد بصره :

البصر كم جنى على القلب من ويلات . . ؟ وكم جنى من
 مصائب . . ؟

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً
 لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
 رأيت الذي لا كله أنت قادرُ
 عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ
 العين إذا انطلقت إلى الحرام ، فهي سهم من سهام إبليس ،
 ومن غصّ طرفه عن الحرام أبدله الله إيماناً يجد حلاوته في
 صدره ، ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
 ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٣٠] .
 العين إذا شردت فإنما هي سهم يقع في القلب .

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه

فمن المطالب والقتيل القاتلُ

قال أحد الصالحين : كم من نظرة أودت في حفرة ، وكم من عين
 أدخلت في نار ، وكم من التفاتة أعقبت ندماً يوم القيامة ، نعوذ
 بالله من ذلك .

إن على المؤمن أن يوجّه بصره للنظر في ملكوت السموات

والأرض، والتفكر بما فيهما من الآيات العظيمة ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس : ١٠١]. ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية : ١٧ - ٢٠].

* وإن على المؤمن أن يصرف بصره عن المحرمات، عن النساء... عن الصور الخليعة... وليحذر كل الحذر، فرب نظرة أودت بصاحبها، ورب نظرة أعقبتها حزن وحسرة.

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ

ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها

فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والعبد مادام ذا عين يقلبها

في أعين الغيد موقوف على الخطر

يسرُّ مُقلته ما ضرَّ مُهجته

لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

كم نظرة جلبت من الهموم والأحزان أثقالاً؟! وكم نظرة أسرت قلب صاحبها، وكان يحسب أن فيها سعادته والتفريح عما في نفسه.

يا رامياً بسهام اللّحظ مجتهداً

أنت القليل بما ترمي فلا تُصب

ويا باعث الطرف يرتاد الشفاء له

احبس رسولك لا يأتيك بالعطب

فإذا حفظ المسلم بصره ولم يصرفه إلى الحرام، بل وجهه لطاعة مولاه وخالفه، فإن الله سبحانه يحفظه ويتولاه. وكفى بحفظه وتوليه نعمة وعطية. ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : ٦٤].

خامساً : حفظ العبد بطنه :

مما يلزم المسلم حفظه أن يحفظ بطنه عن المطعم الحرام، فلا يأكل إلا مما أباحه الله سبحانه. فيتخلى عن كل مصدر للمال محرم كالربا والغش، وبيع أو تأجير ما حرم الله، ولا

يأكل إلا مما أباحه الله سبحانه، ويطيب مأكله ومشربه ليجيب الله دعوته . .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :
« يا أيها الناس ؛ إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون : ٥١] .
وقال : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة : ١٧٢] . قال : وذكر الرجل بطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟! »^(١) .

ثم إن على المؤمن أن يحفظ بقية أعضائه بلا استثناء ، فيحفظ فرجه عما لا يحل له ، ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ [١٩]

(١) رواه مسلم (١٠١٥) والترمذي (٢٩٨٩) .

عَلَى أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ [المعارج : ٢٩ - ٣٠] .

وعليه أن يحفظ قدمه فلا يمشي بها إلى ما حرم الله سبحانه ، بل يجعلها تسير إلى طاعة الله . . إلى المساجد . . إلى خلق العلم . . إلى المحاضرات . . إلى صلة أرحامه . . إلى زيارة إخوانه في الله . . إلى كل خير وفلاح .

وعلى المؤمن أن يحفظ يديه فلا يستعملهما إلا فيما أباحه الله . . وليحذر أن تكون يده وسيلة لمعصية مولاه ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور : ٢٤] .
﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ١٩ - ٢٠] .

وإذا حفظ المؤمن أعضائه وجوارحه ، وسخرها لطاعة الله ، فإن الله يحفظه ، وهو أرحم الراحمين .

خاتمة

وبعد يا عبد الله :

* يا من تريد أن يحفظك الله . . احفظ الله .

* يا من تريد سعادة الدارين . . احفظ الله .

* يا من تريد النجاة من الأخطار . . احفظ الله .

* ها قد عرفت كيف تحفظ الله عز وجل بتقواه . . وطاعته .

وكيف تحفظ جوارحك جميعها فلا ترتكب بها ما حرم الله

بل تسخرها في طاعة الله .

ويبقى العمل بعد ذلك : احفظ الله - بما علمت - يحفظك

الله من كل سوء ومكروه . ولا تنس الله عز وجل فينساك فتخسر

الدنيا والآخرة ، نعوذ بالله من ذلك .

أخي الكريم : لا أملك في الختام إلا أن أوصيك بوصية

النبي ﷺ لابن عباس - رضي الله عنهما - فأقول - « احفظ الله

يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله ، وإذا

استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن

ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . ولو

اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله

عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

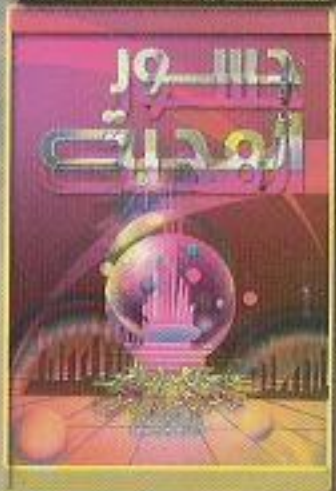
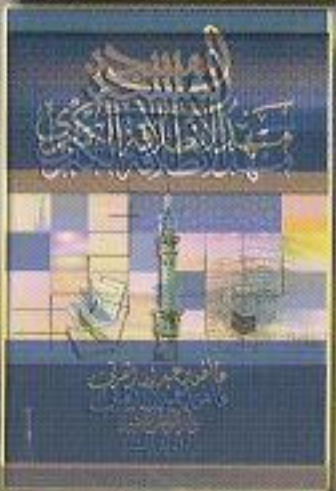
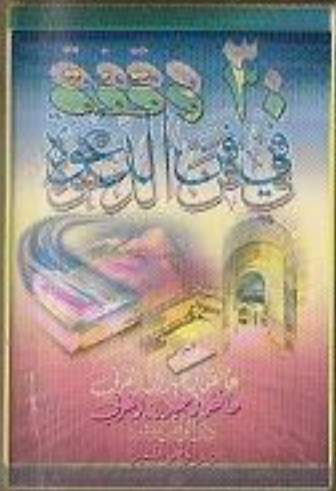
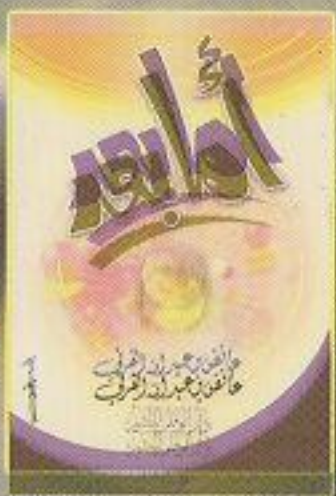
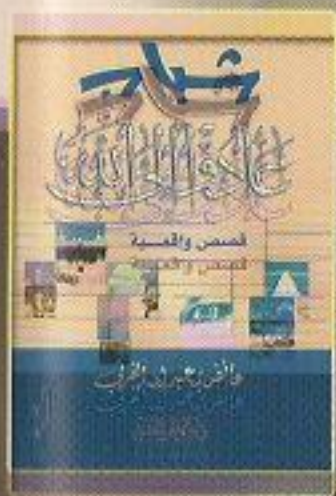
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٣٠	٧- تسخير الجمادات
٣٢	نتائج عدم حفظ الله تعالى
٣٢	والتاريخ مليء بالشواهد
٣٦	كيف يحفظ العبد ربه؟
٣٨	ومن علامات التقوى
٣٨	المحافظة على الصلوات
٣٩	وكيفية المحافظة عليها
٣٩	١- أداؤها في وقتها
٤٠	٢- أداؤها في جماعة
٤٠	٣- أداؤها بخشوع وخضوع
٤٠	حفظ الجوارح
٤٠	أولاً: حفظ العبد لقلبه
٤٤	ثانياً: حفظ العبد لسانه
٥٣	ثالثاً: حفظ العبد سمعه

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
أهمية هذا الموضوع	٥
لمن هذا الكتاب؟	٦
حفظ الله تعالى	٦
حفظ الله لأولياءه في الدنيا	٩
١- الحفظ من مكر الأعداء	٩
٢- الحفظ من كيد الطغاة والحكام	١١
٣- النصر على الأعداء	١٩
٤- حفظه للأولاد	٢١
٥- حفظه للجوارح	٢٣
٦- تسخير الدواب والسباع والحفظ من شرها	٢٥

من إصداراتنا أفضلية الشيخ عاصم بن عبد الله القرني



DAR-ALWATAN



300517

SR 2.00